برسى بيش شلى

١٧٩٢ — ١٨٢٢ م.

(١)

تقدمة

برسى بيش شلى اسم يقترن دائماً باسمى شاعرين آخرين : هما بيرون وكيتس. فهؤلاء الثلاثة كان لهم أسلوب جديد فى الحياة ووجهة نظر خاصة فى الشعر ، فقد تغلغلت مبادىء الثورة الفرنسية فى نفوسهم وامتزجت بدمائهم لا سيما فى شلى وبيرون .

ولد شلى عام ١٧٩٢ ومات عام ١٨٢٢ م.

ثلاثون عاماً قضاها شلى بين انجلترا وإيطاليا ينشد الشعر ويتغنى به ، ثم ودّع العالم بعد أن ترك فيه آثاراً خالدة تبقى ما بقى الانسان . وليس لى الآن أن أتحدث عن شلى وهو صبى ، أو أتكلم عن جمال وجهه وأنوثته ، أو عن شلى المجنون كما كان يلقبه زملاؤه فى « إيتن » أو عن طرده من الجامعة لرسالة كان قد كتبها عن « ضرورة الالحاد » أو عما لاقى من اضطهاد والده له أو عن حبه السامى وبحثه عن المرأة السامية ، أو عن مأساة غرقه فى الجهورن بايطاليا ، وحرق جثته إلا قلبه الكبير الذي بقى سليماً وسط النيران . فليس هذا مجال التحدث عن ذلك ولكنى أقول كلمة موجزة عن أثر « شلى » كشاعر خالد ...

إن قصائد « شلى » الغنائية « مناجاة القبرة » « ومناجاة الريح الغربية » وغيرهما أسمى ما فى الأدب الانجليزى من شعر غنائي ودرامته « The Cenci » لا تقل جودة وإتقاناً عن أروع درامات شكسبير .

إنك تحس وأنت تقرأ شعر شلى أنك انتقلت إلى عالم آخر غير العالم الأرضى : عالم كله جمال .

إن الفائدة الحقيقية التي نخرج بها من دراستنا لشلى فى حياته وكتبه لا ينبغى أن نبحث عنها فى تعاليمه ، ولكن فى جهاده وإيمانه القوى بالمساواة والمثل العليا وسعادة الانسانية .

وشعر شلى كطبيعته يجب أن يُتذوَّق عن طريق الفهم والاعجاب لا عن طريق النقد ، فهو كعبقريته يسمو عن هذا العالم كسحابة من نار ، وأنشودته تهبط علينا من العلا .

ولو كانت طبيعتنا تستطيع أن تسمو إلى طبيعته لأمكننا أن نتغلغل فى ذلك الفضاء المضيء العميق الذى تمرح فيه روحه وتنشد أناشيدها .

ولكى نفهم شلى يجب أن نتجرد من كل أهوائنا الحسية وأن نصرف فكرنا عن كل ما هو دنيوى حتى إذا ما أدركنا أن الشيء المألوف أصبح غريباً وأننا اقتربنا إلى العالم الروحى أمكننا حينئذ أن نمعن النظر فى عالم شلى السامى الجميل .

أما هذا الدفاع الحماسى الملتهب الذى وجهه شلى إلى كل عدو للشعر فلا أظن أن كاتباً أو شاعراً قديماً أو حديثاً انجليزياً أو غير انجليزى قد بلغ من البلاغة فى الافصاح عن رأيه فى الشعر وتقديسه له كما بلغ شلى .

فانك عند ما تقرأ هذا المقال تحس بأنفاس الشاعر الملتهبة خلال سطوره ، وتشعر أن روحه ونفسه السابقتين قد لونتا كل كلمة من كلماته وصبغتاها بصبغة ثابتة لن تتغير وطبعتاها بطابع الخلود .

فانك لا تقرأ مقالاً أو كلاماً ألف فى حالة خاصة لغرض من الأغراض ، ولكنك تقرأ كلام شخص يدين بدين الشعر ولا يدين لسواه ، ويقدس المثل العليا فى الشعر ولا يقدّس غيرها .

فهو يرد هجمات أعداء الشعر الذين قصروا عن إدراك ما فيه من جمال ويشرح لك فى قوة لا تخلو من جمال وفى إثرة لا تبعد عن قواعد العقل والمنطق أثر الشعر فى الجمعية الانسانية منذ الأزل ، وكيف أن الشعر هو جوهر حياتنا والعامل المنظم لمجتمعنا ، ولولاه لفسد العالم وضل سواء السبيل ...

وجملة القول : هذا مقال يتمنى كل من يقرأه أن يكون شاعراً إن لم يكن ذلك من قبل .

﴿ الذود عن الشعر ﴾

للشاعر الانجليزى الخالد برسى بيش شلى

اذا نظرنا من ناحية معينة الى حالتى العقل اللتين ندعوهما التفكير والخيال أمكن أن نعتبر الأولى العقل منتجاً العلائق بين فكر وآخر مهما يكن منشؤها ، والأخرى العقل يعمل فى هذه الأفكار فيلونها بلونه الخاص ويكوّن منها — كما يكوّن من من العناصر — أفكاراً جديدة يحمل كل منها فى ثنايا مبدأ كماله الخاص .

فاحداهما تسمى مبدأ التركيب لأن اغراضه تضم تلك الصور المعروفة جيداً للطبيعة العامة والحياة نفسها ، والأخرى تدعى نظرية التحليل التى تهتم بالعلائق بين الاشياء — كمجرد علائق — والتى تنظر الى الافكار لا كوحدة كاملة ولكن كالعلاقات الجبرية التى تؤدى الى نتائج عامة حتمية .

فالتفكير هو إحصاء المقادير أو الكميات التى عرفت تماماً ، والخيال هو الشعور بماهية هذه الصفات متفرقة ومجتمعة . يهتم التفكير بالفوارق ويعنى الخيال بوجوه الشبه بين الاشياء .

التفكير من الخيال كالاداة من الفاعل ، وكالجسم من الروح ، وكالظل من المادة .

ويمكن أن يعرّف الشعر بوجه عام بأنه المعبر عن الخيال ، والشعر يتصل بأصل الانسان ، والانسان أداة تأثرت كثيراً بالتأثيرات الداخلية والخارجية كالتأثيرات التى تحدث من حركة المزهر محدثة نغمات دائمة التغير ...

ولكن الجنس البشرى ينبنى على أساس داخلى بل ربما كان هذا الاساس موجوداً فى كل المخلوقات الحساسة : هذا الاساس هو الذى يؤثر فى القيثارة ولا يولد نغمة واحدة بل نغمات متوافقة بوساطة ضبط داخلى للاصوات أو الاهتزازات التى أثيرت بتلك التأثيرات ، كأن تعد القيثارة خيوطها وفق الاهتزازات التى تلهمها فى نظام صوتى متناسب كما يعد الموسيقار صوته وفق صوت القيثارة ...

والطفل أثناء لعبه يفصح عن ابتهاجه بصوته وحركاته ، وكل حركة فى النغمة تحمل معها علاقة قوية بالمدلول الموافق فى التأثيرات التى أيقظتها ، فهى الصورة المنعكسة لذلك التأثير ...

وكما أن القيثارة تهتز وترن بعد مرور الريح كذلك يحاول الطفل باطالة صوته

وحركاته إبقاء هذا الأثر لبطيء أيضاً الشعور بالباعث ، لذلك كانت هذه الانفصالات بالنسبة الى تلك الأشياء التى تبهج الشعر بمثابة الشعر الى الأغراض الأكثر سمواً ...

فالرجل الهمجى ـ لأن الهمجى للأجيال كالطفل للأعوام ـ يعبر عن عواطفه التى تولدت فيه بما يحيط به من أشياء متجانسة ، واللغة والحركة مع التقليد السهل أو التصورى تصبح صورة لذلك التأثير المرتبط بتلك الأشياء .

والانسان فى المجتمع بكل أهوائه ولذاذاته يصبح ثانياً هدفاً لأهواء ولذاذات الانسان : فنوع اضافى من العواطف يولد كثيراً آخر من الانفصالات ـ واللغة والحركة والفنون التقليدية سرعان ما تصبح الطريقة والوسيلة ، القلم والصورة ، الأزميل والتمثال ، الوتر والنغمات المتوافقة .

والميول الاجتماعية أو القوانين التى منها أو من عناصرها وُجد المجتمع أخذت فى الارتقاء من تلك اللحظة التى وُجد فيها اثنان معاً ، والمستقبل مخبوء فى جوف الحاضر كالنبات فى جوف الحبة . والمساواة والتباين والاتحاد والتناقض والحياد والاستقلال أصبحت وحدها الأسس الكفيلة بتقديم الدوافع التى بالنسبة لها اقترنت ارادة الانسان الاجتماعى بالعمل بقدر ما هو اجتماعى والتى تعين اللذة فى الاحساس والفضيلة فى الشعور والجمال فى الفن والصدق فى التعقل والحب فى مخالطة النوع .

لذلك أخذ الناس حتى فى طفولة جمعيتهم البشرية يرعون نظاماً خاصا فى كلامهم وأعمالهم بعيداً عن تلك الأغراض والتأثيرات التى تظهر بواسطتها ، وكل الانفصالات خاضعة لتلك القوانين التى أوجدتها . ولكن دعنا نبعد عنا تلك الاعتبارات الأكثر شيوعاً التى تورطنا فى البحث عن نظريات المجتمع الانسانى ذاته ونحصر وجهة نظرنا فى تلك الطريقة التى يظهر الخيال فيها جلياً .

فى شباب الدنيا كان الرجال يرقصون وينشدون ويحاكون الاشياء الطبيعية مراعين فى هذه الأعمال كما كانوا يراعون فى غيرها نظاماً خاصاً ـ ومع أن جميع الرجال كانوا يحاكون شيئاً متشابهاً لكنهم لم يتقيدوا بنظام خاص فى حركات رقصهم وفى نغمة غنائهم وفى ربط كلمات لغتهم وفى محاكاتهم للمناظر الطبيعية ، لأنه يوجد نظام خاص يلازم كل طبقة مقلدة فى تمثيلها الذى منه يستمد السامع والمتفرج سروراً أعمق وأصفى من أى نظام آخر ـ وهذه الحاسة القريبة لهذا النظام أطلق عليها الكتاب المحدثون لفظ « الذوق » ، فكل انسان لاحظ فى مهد الفن نظاماً متفاوت

فى القرب من ذلك الذى يثير أسمى أنواع اللذة ؛ ولكن لا يكفى ملاحظة الاختلاف ، كما أن تدرّجه يجب أن يشعر به الا فى تلك الحالات حيث تكون قوة الجمال عظيمة جداً ـ اذا جاز لنا أن نطلق هذا على العلاقة بين أسمى لذة وبين الباعث لها .

فأولئك الذين يتوفر لديهم هذا الى درجة عظيمة هم الشعراء على حد أعم فى معنى هذه الكلمة ، واللذة الناتجة من الطريقة التى يشرحون بها أثر البيئة الاجتماعية أو أثر الطبيعة فى عقولهم تربط بآخرين وتكسب لنفسها قوة مضاعفة بهذا الارتباط .

فلغتهم حية التشبيهات أى أنها ترمز الى ما قبل الروابط غير المدركة من الأشياء وتخلد إدراكها حتى تصبح الكلمات التى تعبر عنها رموزاً لأجزاء أو مراتب لأفكارنا بدلاً من أن تكون صوراً لأفكار كاملة ، وعلى ذلك اذا لم يقم شعراء يُجدد يجددون تلك الرسائل التى فسد نظامها فستعجز اللغة عن أداء أشرف أغراض المجتمع. هذه المشابهات أو العلائق قد عرفت جيداً بواسطة اللورد بيكون بأنها « خطوات الطبيعة ظاهرة فى شئون العالم المتعددة ، وهو يعدّ الملكة أو القوة التى تشعر بها بأنها مخزن لمبدأ عام لجميع أنواع المعرفة » .

فى مهد الجمعية البشرية كل صانع شاعر بالضرورة لأن اللغة نفسها شعر ، ولكى تكون شاعراً يجب أن تفهم الحق والجمال وبالاختصار الخير الذى يوجد فى هذه العلاقة التى وُجدت أولاً بين الحياة والشعور وثانياً بين الشعور والافصاح عن هذا الشعور . وكل لغة مبتكرة قريبة من أصلها كانت خليطاً من قصيدة دائرة ـ واتساع المعجم والاختلافات فى القواعد هى من عمل العهد الأخير ، وهى مجرد قائمة أو فهرس وصورة لمبتكرات الشعر ـ ولكن الشعراء أو أولئك الذين يتصوّرون ويفصحون عن هذا النظام الأول ليسوا فقط مؤلفين لغة أو موسيقى أو رقص أو بناء أو تماثيل أو تصوير بل هم منشئو قوانين وواضعو نظام المجتمع الانسانى وموجدو فنون الحياة فهم الأساتذة الذين يعيشون فى كنف الحق والجمال القادرون على فهم عمل العالم الخفى الذي يدعى الدين .

لذلك كانت الأديان الأولى رمزية أو متأثرة بالاستعارة ومثل Janus لها وجهان أحدهما زائف والآخر حقيقى ، والشعراء بالنسبة لظروف العصر والشعب الذى ظهروا فيه عُرفوا فى العصور الأولى بالمشرعين أو الأنبياء . فالشاعر فى جوهره يحمل هاتين الصفتين ، لأنه لا يمعن النظر فى الحاضر كما هو ويخرج القوانين التى تتناسب

ونظام الأشياء الحاضرة ولكنه ينظر الى المستقبل فى خلال الحاضر وأفكاره هى أصول الزهرة وثمرة العصر الأخير .

أنا لا أزعم أن الشعراء أنبياء بأوسع معانى هذه الكلمة أو انهم قادرون على التنبؤ بما يقع مؤكداً كتأكدهم من الاخبار عن روح الحوادث قبل وقوعها ، فهو ادعاء خرافة ذلك الذى يجعل الشعر داخلاً فى النبوة من أن يجعل النبوة داخلة فى الشعر ، فالشاعر يساهم فى الأزل والواحد يحدّ المحدود بقدر ما يتصل بشعوره ، أما الزمان والمكان والعدد فلا يمتّ إليها بصلة فكرية .

والصور الأساسية التى تعبر عن حالات الزمان واختلاف الأشخاص وتباين المكان قابلة للتغير بالنسبة الى أسمى أنواع الشعر بدون أن تجحف بحقه كشعر .

وجوقات إيسكيلوس وكتاب أيوب وفردوس دانتى كفيلة بتقديم أمثلة لهذه الحقيقة دونها سائر أنواع الكتابة الأخرى لو كانت صدور هذا الموضوع تسمح بالاستزادة .

ومنتجات النحت والتصوير والموسيقى صور لا تزال أكبر شاهد على ذلك ؟

نظمى خليل

شاعر الملك

كان لما نشرته أبولو عن (جائزة الملك جورج) لشعراء الامبراطورية البريطانية أثرٌ بليغٌ فى الاوساط الادبية فى مصر ، ولعلى صادقٌ فى الاعراب عنه بهذه الكلمة .

كان المغفور له احمد شوقى بك يشغل نظير هذا المنصب فى مصر أيام سمو الخديو عباس ، ولمّا خُلع سمو الخديو وُنفى شوقى بك بقى هذا المنصب شاغراً بالرغم مما تجلّى من عطف عظمة السلطان حسين ثم من عطف صاحب الجلالة